

أثناء دراستي لأبي العبر، ساعتمد على كتاب الأغاني الذي يخصص فصلاً لهذا الشاعر، فصلاً ترد فيه مقتطفات من شعره وكلامه، وحكايات متعلقة به وأحكام على شخصيته.⁽²⁾ وكما يحدث كثيراً في كتب الأخبار، فإننا لن نجد ترجمة خاضعة للتسلسل الزمني، وإنما نتفأ متفرقة وشذرات مبعثرة. إلا أن هذا لن يمنعنا من صياغة البنية التي تجعل من تجربة أبي العبر كلاً متماسكاً مترابطاً.

عندما تجاوز أبو العبر سن الخمسين، تبين له أنه لن يستطيع منافسة أبي تمام والبحتري. فماذا فعل ؟ «ترك الجد وعدل إلى الحمق والشهرة به».⁽³⁾ لم يفرض عليه هذا التحول، وإنما اختاره وتعمده وخطط له. ذات يوم قرر أن يتحاقق، أن ينتقل من حالة إلى حالة، من طريقة إلى طريقة.

التحول سيثمل شعره وشخصيته. وكموثر على حياته الجديدة، قام بتغيير كنيته : «كانت كنيته أبا العباس فصيرها أبا العبر».⁽⁴⁾ اختار لنفسه كنية جديدة عوض الكنية التي كان بها يعرف. فكأنه تقمص شخصية أخرى، أولقل إنه ولد من جديد بعد أن دفن شخصيته القديمة. ثم إنه لم يكتف بتبديل كنيته، بل «كان يزيد فيها في كل سنة حرفاً حتى مات، وهي أبو العبر طرد طيل طيري بك بك بك».⁽⁵⁾ فالتحول شيء متواصل مستمر، وإن إضافة حرف كل عام إلى الكنية لدليل على شخصية لا تنفك تتغير ولا تعرف السكينة والرسوخ. كل سنة تعادل حرفاً، فإذا بالعمر يمتد كما تمتد الحروف، بدون غاية ولا معنى.

التمطيط في الكنية يجعلها تنقسم إلى قسمين : قسم معقول أي له دلالة (أبو العبر)، وقسم سخيف لا دلالة له (طرد طيل طيري بك بك بك) أو لا دلالة ثابتة

(2) الإصفهاني، XXIII ص. 76 - 86.

(3) الإصفهاني، ص. 76.

(4) الإصفهاني، ص. 80.

(5) الإصفهاني، ص. 80.